الجامعة الأسمرية الإسلامية
كلية الآداب
قسم الآثار

محاضرة بعنوان :

تقنيات الزخارف الفنية في العمارة الرومانية من خلال
(الاعمال الجصية – الرسوم الجدارية – الفسيفساء)

أعداد : أ. نصرالدين فرج القاضي

- مقدمة : يتناول علم الآثار دراسة الأشياء التي صنعها الإنسان أو شيدها أو أستعملها سواء كانت مباني أو أثاث أو أدوات تم تركها ورحل وتخلف عنها، من هذا المنطلق نسلط الضوء في هذه المحاضرة عن فن الزخارف في العمارة الرومانية، من خلال الأعمال الجصية، والرسوم الجدارية، والفسيفساء.

- ## أولا : تقنية : الزخارف الجصية وطرق إعدادها
- ## الجص أو الستكو : (Stucco)
- نوع من أنواع الملاط، ذو الجودة العالية و البياض الناصع، يتكون من الجبس ومسحوق الرخام، وهو يستخدم لتنفيذ أشكال زخرفية بارزة أو مسطحة. تتطلب مراحل إعداد الزخارف الجصية إعداد الجدران والسقوف بالملاط من عدة طبقات، على أن تستخدم الاصماغ القوية لتثبيت القوالب الجصية، فوق الملاط الجاف تماماً، وبالنظر إلى حجم وعمق بعض الرسوم، غالباً ما كانت الأعمال الجصية تحتاج لكتف داعم لتثبيتها على الجدار، والذي قد يتألف من مسامير بأطوال مختلفة أو أسافين خشبية مقحمة داخل الجدار تثبت من خلالها قوالب الجص حول الملاط وفي الجدران. والأسطح المفضلة لهذه الأعمال هي الحجرات في الحمامات، حيث وفرت العقود والجدران مساحات واسعة، استطاع من خلالها الفنانون إنجاز أعمالهم الجصية.
- بحسب المعطيات المقدمة من فتروفيوس، فإن إعداد أسطح الجدران للأعمال الجصية يتكون من سبع طبقات للملاط، إلا أن المعطيات الأثرية تكشف أنه يتم تغطية الجدران بثلاثة طبقات متعاقبة، بحيث يتم تطبيق الطبقة الأولى مباشرةً على الجدار، والتي عادةً ما تكون من الجير والرمل غير المغربل للمحافظة على خشونة الملاط، أما سمك الطبقة فهي تتفاوت ما بين 3-5 سم، وفقاً لطبيعة انتظام السطح الذي يراد تغطيته، ومن الممكن أن تكون هذه الطبقة متألفة من خليط الجير والرمل ومسحوق الفخار، لتقويتها والمحافظة عليها صلبة ومنع تشققها، ولتحسين التصاق الطبقة الثانية بها، تليها طبقة ثانية وعادةً ما تكون بسمك ما بين (2- 4 سم) من ملاط أكثر نعومة مصنوع من الرمل المغربل، ويتم معالجة سطح الطبقة بأداة تسطيح لتنعيم ومعالجة سطحها، أما الطبقة الثالثة والنهائية فتكون رقيقة بسمك (1- 2 سم) وغالباً ما يتم صنعها من الجير النقي، ويتم كذلك غربلة الرمل بشكل دقيق و من الممكن استبداله بواسطة الجبس أو مسحوق الرخام، وذلك اعتماداً على جودة وأهمية موقع البناء، فهذا السطح من الممكن أن يبقى عارياً وفي هذه الحالة يحافظ على لونه الأصلي أو إعطائه صبغة أو صبغات ملونة كزخرفة .

• الزخارف الجصية

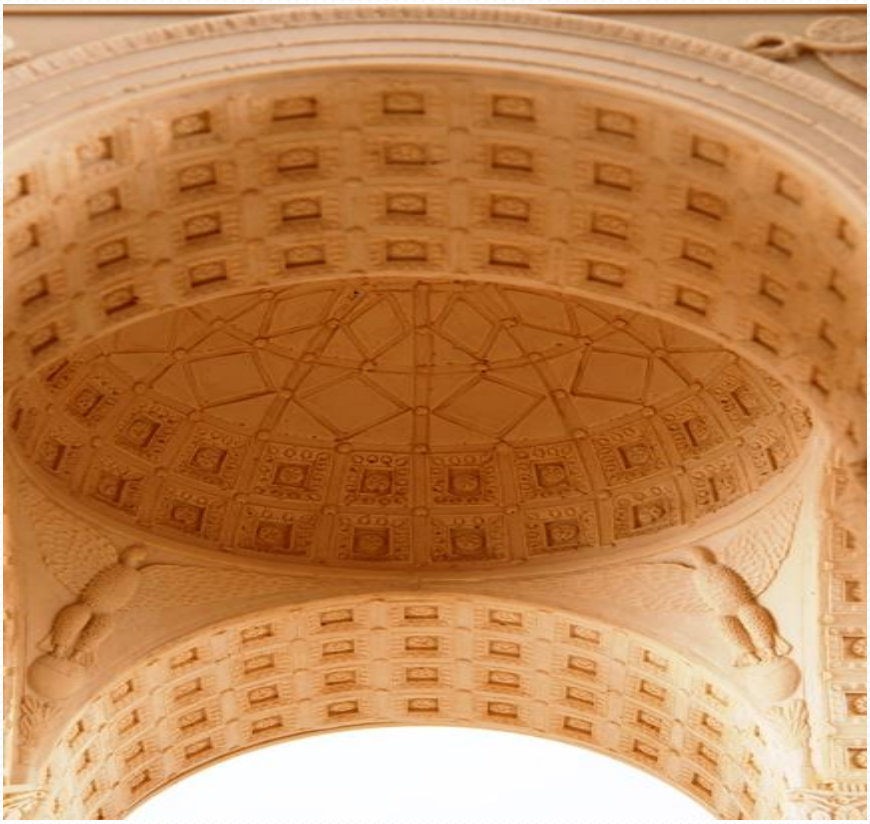

ثانياً- تقنية إعداد لوحات الرسوم الجدارية :(Fresco)

- يشير مصطلح فريسكو إلى تقنية الرسم على الجدران والأسقف، بواسطة استخدام الألوان، التي تنفذ على الجص أو الملاط، حيث يمتص الملاط أو الطبقة الجصية الألوان، وتكون سطحاً متحداً بين الملاط والألوان، وهذه التقنية تحقق المحافظة على الألوان لفترة طويلة من الزمن .
- وتنقسم هذه التقنية حسب نوعية تنفيذ الرسوم إلى نوعين أو طريقتين هما :
- **- الفريسكو الرطب:**
- يكون أساس هذا النوع الرسم على الملاط الطري أو الرطب، بحيث تحدث عملية تفاعل مباشرة بين الألوان مع طبقة الملاط، التي تمتص الألوان المذابة في الماء أثناء عملية الرسم، ومن ثم تصبح الألوان جزءاً من الملاط أو الطبقة الجصية وهو ما يجعلها تدوم لفترات طويلة من الزمن .
- **الفريسكو الجاف Tempera :**
- يكون أساس هذه الطريقة أن الطبقة الجصية تكون مفصولة عن الأشكال المرسومة، حيث يتم تنفيذ العمل الفني بواسطة مثبتات أو وسائط لونية مثل: الغراء والصمغ العربي وزلال البيض والشمع. والنوع الجاف يختلف عن الرطب، من حيث أن طبقة الجص أو الملاط يتم الرسم عليها بعد جفافها تماماً، ومن ثم يكون هناك عازل بين طبقة الملاط ومادة اللون، لهذا تتم عملية مزج الألوان بواسطة مادة تكسبها ثباتاً وصلابة على الملاط الجاف .
- يستخدم الفنانون طرقاً عدة لتحديد المشاهد والتصاميم عن طريق تحديدات كنتورية أما بواسطة حبل أو مسطرة أو على الأقل من أجل وضع محاور وتقسيمات الجدران، ويستخدم عادةً الحبل والفرجار لرسم الأشكال الدائرية المتماثلة وبشكل خاص على الأسقف الملونة، وأخيراً يتم رسم الأشخاص والحيوانات بأداة حادة في سلسلة من الحركات قبل أن يتم تلوينها بعناية فائقة

- وهكذا فقد جهز الفنان ومساعدوه مسطحاً من الطلاء الذي يطابق المساحة التي سيكون قادراً على تغطيتها بالزخرفة الملونة خلال عمله اليومي، بداية من أعلى قمة الجدار باتجاه الأسفل، حتى لا يتم إفساد الأسطح بعد تغطيتها بالطلاء النهائي .

- لقد تميز الرسامون بأسماء مختلفة بناءً على مهامهم وتخصصاتهم، فمثلاً **ديالباتور** (Dealbator) فقد كانت مهامه طلاء وتنظيف أسطح الجدران، وربما كان **باريتاريوس** (Parietarius) مسؤولاً عن إعداد الألوان للخلفية والرسومات المتكررة، وأخيراً لقد عهد إلى الرسام أو المصور **اماجناريوس** (Imaginarius)مهمة عمل المناظر التصويرية.

- استخدم الرومان للرسوم الجدارية ألواناً متعددة، يستخرج بعضها من مواد طبيعية معدنية ونباتية، في حين يتم تحضير بعضها من مركبات صناعية من مواد مختلفة، حيث يتم معالجتها ومزجها بنسب لكي تصبح جاهزة لأعمال تزيين وتلوين اللوحات الجدارية .

- يوصي **فتروفيوس** بوجوب توجيه الغرف التي تحتوي على رسومات جدارية ناحية الشمال، وذلك من أجل توفير إضاءة ثابتة للرسومات، وكذلك للمحافظة على استدامة ألوانها وحفظها من العوامل التي تؤثر على جودتها وسطوعها .

الصوره توضح نموذج من الرسوم الجدارية (الفريسكو) في العهد الروماني

ثالثاً- تقنية إعداد أرضيات وجداريات الفسيفساء:

- الفسيفساء (Mosaic)هي عبارة عن تقنية لترصيف وزخرفة الأرضيات، لتشكل لوحات فنية ذات أشكال هندسية وتصويرية متنوعة، تصنع من قطع صغيرة مكعبة الشكل، من الحجارة أو الرخام أو الزجاج أو القرميد أو الخزف ، وتتخذ هذه المكعبات ألواناً متعددة ومختلفة، يبلغ حجمها عادةً 1 سم ويتعداه قليلاً في بعض الأحيان، تشكل هذه المكعبات تصاميم لأشكال ومناظر فنية متنوعة، تمثل موضوعات مختلفة تكون أحياناً مستمدة من الأساطير القديمة والمعارك والبطولات الحربية، أو من البيئات المختلفة للطبيعة أو موضوعات متنوعة من الحياة اليومية والاجتماعية والاقتصادية والدينية .
- تتطلب عملية إعداد أرضية من الفسيفساء خطوات متعددة، وطبقات متعددة تبدأ من فحص التربة والتأكد من متانتها وصلابتها ودكها إن استلزم الأمر للوصول إلى درجة الصلابة والمتانة المطلوبة.
- بعد ذلك يتم مد طبقة من الحجارة بحجم لا يقل عن قبضة اليد، وقد اصطلح على تسمية هذه الطبقة بالطبقة الداعمة أو الستاتومن (Statumen)، يليها طبقة مكونة من كسر الحجارة المخلوطة مع الجير، بنسبة ثلاثة إلى واحد أو خمسة إلى ثلاثة، وذلك وفقاً لنوعية الحجارة المستخدمة، ويتم دك الخليط بمطارق خشبية حتى تتحقق صلابته ومتانته، وتعرف هذه الطبقة باسم طبقة الأساس أو الرودس (Rudus)،
- يتم بعد ذلك مد طبقة أخرى مكونة من مسحوق الآجر المخلوط مع الجير، بنسبة ثلاثة إلى واحد، بحيث لا تقل سماكتها عن ستة أصابع، وتعرف هذه الطبقة باسم النواة أو النيوكلس Nucleus، يتم صقل الأرضية وتنعيمها وتسوية كافة حوافها، ومن ثم تنثر فوقها طبقة من مسحوق الرخام ويضاف إليها طبقة متكونة من الجير والرمل.

- يلي ذلك الطبقة النهائية والتي تعرف بالبساط (Bidding Layer)وهي طبقة الملاط التي توضع على مراحل تكفي لنظام العمل اليومي في وضع وترتيب مكعبات الفسيفساء، وهي تتألف في الغالب من ملاط الجير أو الجبس .
- أما بالنسبة للوحات الفسيفساء الجدارية، فإن أسطح الجدران تعالج قبل وضع طبقات الملاط على الجدران باستخدام مواد عازلة كالقار أو الرانتج، يلي ذلك وضع طبقة الأساس وتتكون من ملاط خشن نوعاً ما لاحتوائه على الرمل أو مسحوق الآجر، يليها طبقة ثانية من الملاط ذو مكونات ناعمة، أما الطبقة الأخيرة وهي طبقة البساط فتتكون عادة من ملاط الجير، وتوضع بشكل أجزاء بقدر ما يسمح به العمل اليومي.

- في حين يتم إعداد أسطح القباب والأسطح المنحنية بصفة عامة لتنفيذ الزخرفة بالفسيفساء عن طريق تثبيت مسامير ذات رؤوس عريضة خشنة في السطح، على أن تكون بارزة قليلاً عن السطح ومن ثم توضع فوقها الطبقة الأولى من الملاط ويليها الطبقات التالية كما سبق ذكرها آنفاً .

أنواع وتقنيات صناعة اللوحات الفسيفسائية :

- **النوع الأول/ Opus Siginum أوبوس سيقينيوم:**
- يعد هذا النوع من أقدم أنواع الفسيفساء، حيث يتم استخدام الحصى بأشكاله وألوانه المختلفة لعمل الأرضيات الفسيفسائية، وأحياناً يستخدم مع الحصى قطع صغيرة من أنواع مختلفة وغير منتظمة من الحجر الجيري أو الرخام أو الفخار أو القرميد، وفي بعض الأحيان يتم إضافة مسحوق الفخار إلى المونة المخلوطة من الجير والرمل لإضفاء اللون الوردي على أرضية الفسيفساء.

- **النوع الثاني/ Opus Tesselatumأوبوس تيسيلاتوم:**
- كانت الأرضيات الفسيفسائية من هذا النوع تصنع من مكعبات صغيرة تبلغ أبعادها حوالي 1 سم، وقد تميز هذا النوع بالتنوع الكبير في زخارفه الهندسية وتعدد ألوانه .

- **النوع الثالث/ Opus Sectile أوبوس سيكتايل:**
- اللوحات الفسيفسائية المنجزة بهذه الطريقة، تتكون من مزيج من مكعبات الفسيفساء والقطع الرخامية، حيث يتم توزيعها على هيئة أشكال هندسية تتخللها مشاهد فنية متنوعة، وقد عرف هذا النوع من الفسيفساء باسم الترصيع الرخامي .

- **النوع الرابع/ Opus Vermiculatum أوبوس فيرمكيلاتوم:**

- كانت الأرضيات من هذا النوع تصنع من قطع صغيرة جداً، وفي أغلب الأحوال تكون من الرخام وعجينة الزجاج، حيث يتم تصوير الأرضية بتقسيمها إلى إطارات من الفسيفساء الملونة على شكل لوحات فنية تحتوي كل واحدة منها على أحد المناظر الطبيعية، ويتميز هذا النوع بالدقة والتعقيد في تصميم الأشكال والمشاهد المصورة عليه .

- تنفذ أرضيات الفسيفساء من المادة نفسها واللون نفسه أو من مواد مختلفة وألوان متعددة، حيث تسمى الفسيفساء التي تكون مكعباتها ذات لون واحد بأحادية اللون، أما الفسيفساء التي تكون مكعباتها ذات لونين هما في الغالب الأبيض والأسود، فتسمى ثنائية اللون، في حين تسمى الفسيفساء التي تحتوي على ألوان مختلفة متعددة الألوان، أما لوحات الفسيفساء التي تحوي تصاميم هندسية فيطلق عليها الفسيفساء الهندسية أما تلك التي تحمل صوراً لأشخاص فتسمى بالفسيفساء التصويرية .

- **شكراً علي حسن الاستماع**